

التسامح العالمي والتعايش السلمي في المنظور الإسلامي

٢٠٢٠م /١٤٤١هـ

القاهرة

الدكتور
رضا إبراهيم إبراهيم السيد
قسم اللغة الإنجليزية – كلية اللغات والترجمة
Redaibrahim٢٠٠٨@yahoo.com

ملخص البحث

في عالم دب فيه الصراعات والحروب والعنصرية والأنانية والجشع والظلم، كان حري بنا بني الإنسان أن تتضافر جهودنا للسلام والاستقرار والتعاون والعدل والتعايش والتسامح. فالإسلام بجوهره الصافي والوسطي قد أرسى أسسا وقواعد تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، وعليها تزدهر الحضارات وتتقدم الأمم.

ومن ثم سيتناول هذا البحث القواعد والأسس التي ترسي للتسامح العالمي، والكرامة الإنسانية، و قبول الآخر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: حرية الاعتقاد، والعفو، والمساواة، والتعاون، والتعايش السلمي، واحترام العهود والعقود والالتزام بها مع جميع أبناء الجنس البشري بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والعرقية، مشيرا إلى بعض الدلالات والشواهد التاريخية التي تعكس نمو الحضارات وازدهار التواصل وتبادل الثقافات بين الشرق والغرب في وقت السلم مختتما هذا البحث ببعض التوصيات التي تؤكد على واجبنا الديني والإنساني بتعزيز مكانة التسامح العالمي والتعددية الثقافية.

In a world overwhelmed by wars, conflicts, chaos, aggression, egoism, covetousness, racism and injustice, there is a desperate need for consolidated efforts to recall peace, stability, cooperation, generosity, justice, love, coexistence and most importantly tolerance.

Islam, through its moderate and pure essence, has stipulated rules and principles that build and not to destroy, bring humanity together and not to segregate them and by which humanity can attain progress and their civilizations can flourish.

This research is intended to provide an encouraging insight into Islamic history and guide to that fact that Islam has the potential to bring tolerance to the world yet again through its fundamental Islamic principles and practices. These principles guarantee the freedom of belief, equality, cooperation and peaceful coexistence. The research is concluded by a list of recommendations that confirm our humane and religious duty to boast the status of world tolerance and cultural pluralism.

المقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عبده محمد المختار المصطفى، وعلى كل من اهتدى فاقتدى، وسار على منهاج الصراط فوفى، وبعد...

يعد التسامح سمة من سمات الإسلام الخالدة، والإسلام واضح كل الوضوح في تعاليمه ومواقفه من النظرة الإنسانية للناس جميعا، والمجتمعات البشرية السليمة هي ذات السياسات الإنسانية السليمة والتي تقوم العلاقات بين مواطنيها أولا وبينها وبين الشعوب الأخرى ثانيا على أساس من التسامح والثقة المتبادلة والمودة الصادقة. والتعددية الثقافية والحياة المشتركة مع الآخرين تحتاج من الجميع قبولا بتعايش فيه تسامح وعدل ومساواة واحترام متبادل من كل طرف للطرف الآخر، وعندئذ تنجح عملية التعايش والتفاهم بين الأفراد في المجتمع الواحد، وبين الدول والشعوب المختلفة.

ولكن لماذا عج عالمنا اليوم بالصراع ووصلنا إلى اللاتسامح والندية والعصبية؟ وهل يتهم الإسلام بإثارة الكراهية بين البشر كما تتداول بعض وسائل الإعلام بهتانا وزورا بإلحاق كل ما هو إرهابي إلى هذا الدين الحنيف؟ وما هي التحديات التي تواجهنا في طريق تحقيق التسامح العالمي؟ وما هو السبيل إلى التسامح العالمي في ظل مجتمعات متعددة الديانات والثقافات؟ كل هذه الأسئلة تشكّل مشكلة البحث والتي سنتناولها تفصيلا في مباحث هذا البحث.

أهداف البحث

- **توضيح صورة الإسلام بجهوره الصافي والتأكيد على أن التسامح والتعايش منطلق من منطلقات الثوابت الإسلامية الصافية.**
- **حاجة العلاقات الدولية إلى أسس دينية تستند عليها، ومبادئ شرعية تحكمها وتضبطها، وآليات تيسر التواصل فيما بينها، لتنتظم جميع**

الروابط بنهج التسامح والعدل والإخاء الإنساني، وخاصة العلاقات التي تكون بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات.

- مجابهة الدعاوي الباطلة التي تتهم الإسلام باللاتسامح والكراهية والصراع بما قرره الإسلام في دعوته للناس باللجوء إلي الأخوة الإنسانية العامة التي تنتمي إليها شعوب العالم وقبائله وعرقياته جميعا، وهذا ما قرره الإسلام في قوله تعالي: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات: ١٣].
- إظهار الجانب المشرق للإسلام في أنه ينظر إلي الاختلاف الكائن بين البشر لا على أنه مدعاة إلى التنازع والشقاق، بل على أنه دعوة ووسيلة إلى التعاون والتعارف، كل فرد يتعرف علي ما عند الآخر، وكذلك تتعرف كل أمة من الأمم علي ما عند الأمة الأخرى، وهذا التنوع في الخلق يثري المعرفة الإنسانية، ويعمق الحاسة الاجتماعية عند الإنسان حتى يصير كائنا مدنيا متحضرا راقيا ماديا وروحيا، لا كوائن متصارعة متصادمة يبغي بعضها على بعض ويحاول بعضها أن يسحق بعض.

وحقيقةً، الإسلام بجوهره الصافي والوسطي قد أرسى أسسا وقواعد تبني ولا تهدم وتجمع ولا تفرق وعليها تزدهر الحضارات وتتقدم الأمم، ومن ثم سيتناول هذا البحث جوهر التسامح في الإسلام، والقواعد والأسس التي ترسي للتسامح العالمي، والكرامة الإنسانية، و قبول الآخر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: حرية الاعتقاد، والعفو، والمساواة، والتعاون، والتعايش السلمي، واحترام العهود والعقود والالتزام بها مع جميع أبناء الجنس البشري بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والعرقية، مشيرا إلى بعض الدلالات والشواهد التاريخية التي تعكس نمو الحضارات وازدهار التواصل وتبادل الثقافات بين الشرق والغرب في وقت السلم

مختتما هذه الدراسة ببعض التوصيات التي تؤكد على واجبنا الديني والإنساني بتعزيز مكانة التسامح العالمي والتعددية الثقافية.

المبحث الأول

منهج التسامح في الإسلام

بيّن الله سبحانه المنهج في التعامل مع الآخرين، فحث على التسامح وأمر به، وبين أن التسامح يكسب المحبة والمودة، وأن الدفع بالتي هي أحسن يذيب العداوات، ويزيل الصراعات، فالله سبحانه خالق الخلق، وعالم بفطرتهم وغرائزهم، وجاء القرآن بآيات بلغت مع أهل الكتاب إلى ذروة التسامح، حين أباح الله للمسلمين مصاهرتهم وأكل ذبائحهم[١]: "**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ والْمُحْصَنَاتُ مِنَ المُؤْمِنَاتِ والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ**" (المائدة: ٥) ويتناول هذا المبحث منهج التسامح في الإسلام وفقا للمطالب التالية:

[١] البرهماتي، حياة، منار الإسلام. أبوظبي: هيئة الشؤون الإسلامية والأوقاف، العدد: ٤١١، ٢٠٠٩م، ص ٦٢.

المطلب الأول:

منهج الإسلام في التعامل مع الآخر

كان مبدأ التسامح بارزا في التاريخ الإسلامي ونهج انتهجه الرسول ﷺ وأصحابه والمسلمين من بعدهم في معاملة غير المسلمين، ولعل أبرز مثال هو: معاهدة صلح الحديبية، التي كانت شططا من المشركين، وكانت تسامحا من النبي الرحيم، حتى قال ابن القيم مستنبطا حكما من هذا الصلح: "ومنها أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما.[١]"

فالواضح تسامح الرسول ﷺ وترجيحه للجانب السلمي أكثر من الحرب مع أنه كان يمتلك جيشا قادر على دك ديارهم. والمصلحة الراجحة كذلك تكمن في أثر التسامح على سرعة نشر الدعوة الإسلامية، فإن للسماحة أثرا في سرعة انتشار الشريعة وطول دوامها، إذ شهد التاريخ أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامهم على اتباعها كان على مقدار اقتراب الأديان من السماحة. فإذا بلغ بعض الأديان من الشدة حدا متجاوزا لأصل السماحة، لحق اتباعه العنت، ولم يلبث أن ينصرفوا عنه أو يفرطوا في معظمه، وإذا فرضنا أن يغلب على أتباع دين ذي شدة سلطانه في نفوسهم، فيتجشموا تكاليفه لشدة خوف من عواقب مخالفته، أو شدة طمع في ثمرة العلم به، فإن ذلك يدهده بهم إلى حضيض الشقاء وسوء الحال، حتى يكاد يسلب منهم معظم الخصال المحمودة في البشر، ويسل في نفوسهم العزة واليقظة.[٢]

---

[١] ابن القيم، محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: أبي عبد الرحمن صالح بن عبد اللطيف. دار اليقين، ط١، ٢٠١١، ج٣، ص ٢٧٢.

[٢] ابن عاشور، محمد، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، ط٣، ٢٠١٠م، ص ٢٤.

ولم يشهد التاريخ أن أمة سوّت رعاياها المخالفين لها في دينها برعاياها الأصليين في شأن قوانين العدالة، ونوال حظوظ الحياة بقاعدة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، مع تخويلهم البقاء على رسومهم وعاداتهم، مثل أمة الإسلام.

إن الدعوة إلى مبدأ التسامح وتقبل الآخر راسخة في صميم وجوهر الدين الإسلامي وهو قائم على جملة من القيم نجملها فيما يلي:

- **تقبل الآخر: وحقيقته الإيمان بالاختلاف مع الآخر، وإتاحة الفرصة له لإبداء رأيه، والإقرار بحقه في التعبير عن موقفه، قال تعالى: " وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ" (التوبة:٦) ففي هذا النص القرآني قيمة أخلاقية عالية تحفظ للمخالف في الدين أمنه وتحميه من كل سوء، وكل ذلك غايته إرساء علاقة بناءة تجاهه.**
- **تدبير الاختلاف: الاختلاف يعني التفاوت في القناعات والتصورات والمواقف والرؤى مما يستلزم حسن تدبيره ليكون مدعاة إلى التفاعل والتكامل، وإلا كان سببا للتنازع والتفرق وإثارة الضغائن، فتسوء العلاقات وتفسد المجتمعات، ويحل التناحر محل التحابب، والتناكر محل التعارف، والاقتتال محل السلم. وهذا هو السياق الذي ورد فيه قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ." (البقرة: ٢١٣) قال ابن كثير: "أي من بعد ما قامت عليهم الحجج وما**

حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض."[1] من ثم، فإن الإسلام يدعو إلى تدبير الاختلاف مع الآخر وإدنائه وتقريبه وإرساء علاقة إيجابية اتجاهه، قوام هذه العلاقة التفاعل البناء، والتواصل الرشيد، والسلم الراسخ.

- نبذ التعصب للمعتقد: ليس من هدي الإسلام التعصب للمعتقد وإقصاء الآخر المخالف، إذ ما من صاحب معتقد إلا ويرى نفسه محقا، مما يقتضي من كل ذي عقيدة أن يقر بحق الآخر في حرية المعتقد إقرار وجود لا إقرار تصديق. كما قال تعالى: " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {٢وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ {٤وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦" (الكافرون:١-٦) فاعتبر الشرك دينا، وأقر بوجوده إلى جانب دين التوحيد على سبيل المغايرة لا على سبيل التصديق. ولا يخفى كون نبذ التعصب للمعتقد من القيم الداعمة لإرساء مبدأ التسامح في معاملة الآخر، لما يجد من مساحة تكفل له حريته الدينية اعتقادا وممارسة.

- الموضوعية والإنصاف: من ثوابت إرساء التسامح مع الآخر الالتزام بالإنصاف اتجاهه، وذلك بالإقرار بالحق إذا ظهر على لسانه، لأن غاية كل ذي فطرة سليمة نشدان الحق حيثما وجد. فالحق يعرف بدليله لا بقائله، وقد جاء في الأثر عن علي رضي الله عنه: "لا تعرف الحق

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩، ج٢، ص ٥٧٠.

بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله."[1] وتمثل الموضوعية والإنصاف دعامة من دعائم التسامح لكونه يمهد السبيل إلى تبادل التجارب والخبرات، وتجاوز الأخطاء والعثرات من أجل تحقيق تنمية شاملة تتسع لاستيعاب مختلف فئات المجتمع على تنوع مشاربها وتوجهاتها.

- **الثقة المتبادلة مع الآخر: حيث أن الثقة المتبادلة بين الأطراف المختلفة بمثابة أرضية مشتركة لتأسيس حوار بناء يفسح المجال للتواصل الإيجابي مع الآخر مهما كانت طبيعة معتقداته وقناعته، فالثقة مدعاة لكسب المودة وتحقيق التسامح والألفة، وكل ذلك يهيئ الظروف اللائقة للتعايش وتبادل المنافع والمصالح.**

ويتسنى لنا أن نسمي التسامح بالعظمة الإسلامية، لأننا نجد الإسلام حين جعل هذا التسامح من أصول نظامه قد أنبأ على انه مليء بثقة النفس، وصدق الموقف، وسلامة الطوية، وكل إناء بالذي فيه ينضح، وقد أعرب عن ذلك كله قوله تعالى: "**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**." (يوسف: ١٠٨)

فمنهج الإسلام في التعامل مع الآخر مبني على التسامح والرحمة، مع الاحتفاظ بالكرامة والعزة، فالتسامح له مواضع يوضع بها، وإلا سمي في غير موضعه بالخضوع، والإسلام أمرنا بالتسامح، وحث عليه وجعله مبدأ من مبادئ

[1] الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة. القاهرة: دار المصطفى، ج١، ص ٢١١.

العلاقات الدولية الإسلامية، وقد أثبتت الأيام أثر هذه السماحة في انتشار هذا الدين وشيوعه بين الناس في أقطار بعيدة في قارات العالم.[١]

[١] مغراوي، محمد، من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين. دار العالم العربي، ط١، ٢٠١٣م، ص ٢٤.

المطلب الثاني

التعددية الثقافية ومنهج الإسلام مع سنة الاختلاف

لقد دعا القرآن ولا يزال يدعو إلي وحدة أبناء الجنس البشري، وإلي ضرورة التعايش السلمي بينهم، علي أساس العدل والكرامة الإنسانية التي هي حق مكفول للجميع, يقول ﷺ: "**الناس بنو آدم وآدم من تراب**".[1]

ويعتبر الإسلام "الآخَرِية" امتدادا لا تضاد ولا تعاد، والإنسان هو في نفسه هُوِية وآخَرِية أو هو واحد مكرر، وحاجات الناس متشابكة ومتداخلة، فلا يمكن لأحدهم أن يستغني عن الآخر، وقد وزع الله تعالي القُوَي والطاقات، والثروات الطبيعية علي شتي بلدان العالم وشعوبهم حتى يحتاج الناس بعضهم لبعض، ويتكاملون فيما بينهم، لا ليتصارعوا. وهنا نلقي مزيدا من الضوء علي التعددية وموقف الإسلام منها.

لقد أقام النبي ﷺ العلاقات بين أفراد مجتمعه الجديد على أسس إنسانية تجاوز بها كل الاختلافات والفوارق الدينية والعرقية واللونية والطبقية وجعلها علاقات بعيدة عن كل تعصب مهما كان أصله ولونه، لأن التعصب جهل، والعصبية جاهلية، وقد أبطل الإسلام العصبيات المختلفة، وأبطل الإسلام التمايز والتفاضل بغير الاعمال التي يقدمها الإنسان لخدمة الآخرين في مجتمعه، وجعل الناس سواسية في إنسانيتهم فكلهم لآدم وآدم من تراب، فلا يتفاخرون بأب أو لون أو دم أو عرق، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. هذا هو الطريق الإنساني الذي رسمه رسول الإسلام ﷺ للمسلمين، وينطلق المسلم من هذا المبدأ الإنساني فيُقبل على حب الناس جميعا، سواء أكانوا على عقيدته أم لم يكونوا، مؤمنا بأن رابطة إنسانية تشده إليهم، وهذا ما ورد في صلب عقيدته المعتمدة على القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ.

---

[1] رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل الشام، حديث رقم ٣٨٩٠.

والاختلاف سنة كونية، وآية من آيات الله، وهو علة الخلق: "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**" (هود: ١١٨). وقال تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**" (المائدة: ٤٨) وقال تعالى: "**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**" (الروم: ٢٢).

فبدون التسامح يستحيل تعايش هذه التعددية، ولن تأتي التعددية بثمارها إلا بإقرار مبدأ التعايش المشترك مع الآخرين على اختلاف عقائدهم وقومياتهم وألوانهم، وهذا المبدأ هو جزء من عقيدة المسلم فهو كصلاته وصيامه وجميع عباداته يقوم على إيمانه بالوحدة الإنسانية لأن الخلق كلهم عيال الله. فالمسلم يعيش في أسرة كبيرة خلقها الله ليتعايش ويتعارف أفرادها: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**" [الحجرات: ١٣].

وعلى كل فرد من أفراد هذه الأسرة الكبيرة أن يتحاور مع الآخر، فكلما ساد الحوار والتسامح الداخلي كلما أمكن أن يتحقق الحوار والتسامح العالمي لأنه يقوي النسيج الداخلي في كل بلد وهو السبيل الاسمي والأرقى لضبط الاختلاف المذموم، وتفعيل قيم التعاون والتآلف والتكاتف، وبخلاف ذلك، فإن غلق باب الحوار يعني غياب المشاركة والتعددية والتسامح.[١] ونستخلص فيما

---

[١] العليان، عبد الله علي، حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين: رؤية إسلامية للحوار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤، صـ ١٩٣.

سبق أن التسامح العام العالمي يقوم على تقبل الآخر وفهمه والتخاطب والحوار معه، أي بين الأمم والشعوب والأديان المختلفة.[١]

والحق أن التجارة بين المسلمين وغيرهم، وازدهار التجارة الخارجية للدول الإسلامية في سياج من الأخلاق الفاضلة وتعزيز الثقة والتسامح والسلوك الحميد للمسلمين خارج ديار الإسلام، كان له كبير الأثر في نشر الإسلام في آسية الوسطى، والهند، وجنوبي آسية الشرقي، وإفريقية الشرقية، وإفريقية الاستوائية، حتى صح أن يقال: إن رقعة العالم الإسلامي اتسعت عن طريق التجارة والاتصالات الثقافية في ظل التسامح إلى أبعد من الحدود السياسية.[٢]

لمطلب الثالث

القرآن ورسالته العالمية ومنهجه السماوي في التسامح

القرآن هو كلام الله تعالى، سمى بذلك لأنه يقرأ، ولا يمل قارئه ولا سامعه، لا تنقضي عجائبه، رسالته عالمية تتجاوز حدود الجغرافيا والجنس

---

[١] الجابوري، نظلة، التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠١٠، صـ٢٨-٢٩.

[٢] شتا، أحمد، الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٦، ص ٨٣.

واللون واللغة والطبيعة، وتخاطب الإنسان بطبيعته مخلوقا لله تعالى مكلفا بمعرفته والاتصال به، مطالبا بالتعرف على منهجه وتعاليمه ليطبقها في حياته ويعمل على هديها لصالح دينه ودنياه، فالقرآن وإن نزل باللغة العربية فإنه نزل لكل زمان ومكان ولأهل كل لسان. قال تعالى: "**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ومَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ومَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**" [يونس: ١٠٨]

وجاءت النداءات القرآنية برسالة عالمية تدعو إلى جمع الجزر البشرية المتباعدة وجعلها وحدة منسجمة تأتي بثمارها للجميع، دون تسلط أحد على أحد أو التقليل من تراث أحد، أو الاعتداء على الحقوق والحريات، بل كان منطلق القرآن الأول هو توحيد الله تعالى والدعوة إلى وحدة الجنس البشرى والاعتداد بكرامة الإنسان، وبتطبيق العدل والمساواة بين الناس جميعاً، وتعميقاً لشعور المحبة والتسامح بين الناس أمر الله تعالى ببر أهل الكتاب وبالتعاون معهم فقال: "**وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ**" [المائدة: ٢]، وقال: "**عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الَذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً واللَّهُ قَدِيرٌ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**" [الممتحنة: ٧-٨]، وقال"**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**" [النساء: ١١٤]، وقال: "**ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**" [المائدة: ٨]، وقال: "**ولا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً**" [النساء:١٠٥].

ولا يوجد لدينا أعظم مما عظَّم الله تعالى، وهو خلق نبيه ﷺ الذي أدبه بنفسه، فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فقال تعالى: "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ**

لَهُمْ وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ" [آل عمران: ١٥٩]، وقد طبق الرسول ﷺ هذه الآيات عملياً في جميع أوجه تعاملاته مع غير المسلمين وطبقها أصحابه من بعده حتى عرف المسلمون بالعدل وبالمساواة بين الناس. وينبغي أن يكون واضحاً أن كل ما حرم الإسلام من الظلم والاعتداء على المسلم فقد حرمه كذلك على غير المسلم، فالجميع سواء في الحقوق والواجبات.

لقد فتح القرآن الكريم باب التسامح على مصراعيه، وفتح باب الحوار مع العقائد الأخرى، وجاءت مادة التسامح غنية بألفاظ عديدة في القرآن الكريم، ومنها الصفح: "**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**." [الزخرف: ٨٩]، وجاء التسامح بلفظ الاحسان: "**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" [النحل: ١٢٥]. وجاء بلفظ العفو: "**فَاعْفُوا واصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" [البقرة: ١٠٩]. ومن ثم فإن الخطاب القرآني يسعى من خلال تعاليمه ومبادئه إلى تربية المسلم على التسامح إزاء جميع الأديان والثقافات، والتسامح في ميزان القرآن ليس مجرد شعار يرفع أو نظرية مجردة عن الواقع، بل هو منهج يطبق أساسه وقوامه العدل. ذلك هو التأسيس القرآني للسماحة الإسلامية على الرؤية الفلسفية للكون والوجود، المحكومة بسنة التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف كقانون تكويني أزلي أبدي؛ الأمر الذي يجعل السماحة ضرورة لازمة، وفريضة واجبة لبقاء قانون التنوع والاختلاف عاملا في عوالم المخلوقات والفلسفات والشرائع والديانات والثقافات والقوميات والحضارات.[١]

---

[١] عمارة، محمد، السماحة الإسلامية: النظرية والتطبيق، مقال ضمن أبحاث المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١١٣.

مما سبق يتضح أن الناس جميعا، بصرف النظر عن أعراقهم، وألوانهم، ومعتقداتهم، يشتركون في وحدة الأصل البشري، ويستحق كل منهم التكريم بكونه خليفة الله في الأرض، وأن السعي لتحقيق التسامح يبدو بشكل جلي في منهج الإسلام في التعامل مع الآخر وفي حياة النبي ﷺ، وقد اتسع ليدل على الصفح، وتفادي العنف، وضبط النفس، والرفق، والعفو، وتسوية الخلافات، والإعراض عن الجاهلين، بل ويرسم لنا الإسلام خطوات نكرم بها الإنسانية في شخص غير المسلمين: "**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ**" (التوبة: ٦) فالإسلام لا يكتفي منا بأن نجير هؤلاء المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الأمن في جوارنا في حسب، ولا يكتفي منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية في انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذي يأمنون فيه كل غائلة[١]، وهذا هو جل منهج الإسلام في التسامح وقبول الآخر.

المبحث الثاني
مبادئ التسامح في الإسلام

من خصائص الحضارة الإسلامية أنها لا تحكم بالإعدام على الثقافات الأخرى، والحوار هو البديل، والتعددية الثقافية ثراء للفكر الإنساني، وإقرار الإسلام بتعدد العقائد، إقرار بمشيئة الله[٢]: "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً**

[١] دراز، محمد، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ٢٣٧.

[٢] أبو خليل، شوقي، التسامح في الإسلام: المبدأ والتطبيق. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨، صـ ٤٥.

ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" (هود: ١١٨). وقال تعالى: "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجاً ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً ولَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**" (المائدة: ٤٨) ولقد ازدهرت الحضارات والثقافات وتواصلت فيما بينها في وقت السلم واندحرت بالصراعات والحروب. ولإقرار مبدأ التسامح، أرسى الإسلام مبادئ وقواعد تدعو للتواصل والتعارف والتعايش بين الأمم والشعوب، وتقر الاختلاف، وتقبل الآخر وإن كان مختلفا في الدين أو الثقافة او العرق، وتحافظ على نمو العلاقات الدولية في وئام وسلام، وهذه المبادئ نجملها في المطالب التالية:

المطلب الأول

تكريم الإنسان دون النظر إلى الأديان

أبرز سمة من سمات الإسلام أنه دين انساني الطابع، ولقد كرم الإسلام الإنسان أيما تكريم ودعا إلى احترام انسانيته دون النظر إلى دينه او لونه أو عرقه، فقال تعالى: "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والْبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تفضيلا**" (الإسراء: ٧٠).

وبكونه إنسانا في نظر الإسلام تحترم إنسانيته، حفظت مبادئ الإسلام لغير المسلم حقوقه، وعرفته بواجباته التي لا تختلف كثيرا عن واجبات المسلمين، وأكد الإسلام على حرمة عرضه وكرامته الانسانية مع حرمة دمه وماله، فقتل إنسان بريء مهما كان لونه أو دينه جريمة كبرى تعدل قتل جميع البشر ، وإحياء نفس واحدة إحياء لجميع البشر. قال تعالى: "**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**" (المائدة: ٣٢) وأمر الإسلام بالبر لغير المسلم والإقساط إليه: "**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**" (الممتحنة: ٨) فلا يجوز إيذاء غير المسلم لا باليد، ولا باللسان، ولا شتمه، ولا ضربه، ولا غيبته، "ويجب كف الأذى عنه، وتحريم غيبته كالمسلم".[١] ويتأصل مبدأ التسامح في مشهد نبوي مهيب يؤكد على تكريم الإنسان حيا وميتا، مسلما أو غير مسلم، فهذا نبي الرحمة ﷺ قام لجنازة مرت أمامه، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال ﷺ: "**أليست نفسا**."[٢] وقال

---

[١] ابن عابدين، محمد، الدر المختار. القاهرة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣، ٣/٢٧٣-٢٧٤.

[٢] رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم ١٣١٢.

ﷺ: "**أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة**"[1] ومن ثم، فإن تعاليم الإسلام إلهية في نصوصها وخطابها، إنسانية في تطبيقاتها.

والناس جميعا في ميزان الإسلام سواسية في إنسانيتهم فهم بنظره من أب واحد وأم واحدة فكلهم لآدم وآدم من تراب ويتجلى ذلك في نداء نبوي كريم: "**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباءكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى.**"[2]

فالناس سواسية كأسنان المشط، والتقوى هي معيار التفاضل بين الناس جميعا، قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**" (الحجرات: ١٣) فأية كلمة أوسع في مدلولها الإنساني من كلمة الناس التي تشمل البشر جميعا على اختلاف ألوانهم وقومياتهم وأديانهم وطبقاتهم، وهنا أكد الخطاب الإلهي والنبوي على مبدأ المؤاخاة والمساواة ولم يجعله شعارا، بل منهجا أثبتته الوقائع والاعمال.

فهذا عمر ﷺ مر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر فقال له: أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلي ما أرى؟ قال: أسأل الحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم "**إنما الصدقات للفقراء**

[1] رواه أبو داوود، كتاب الصلاة، باب ما يقوم الرجل إذا أسلم، ١٢٨٩.

[2] أخرجه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٢٣٥٣٦، والهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، حديث رقم ١٣٠٧٩.

والمساكين" والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب.[1] وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ﵁ كتب إلى عدي بن أرطأة: "وانظر من قبلك من أهل الكتاب قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه".[2] وهذا لون من السماحة والمساواة القائم على احترام الإنسانية ومعرفة حقوقها.

[1] أبو يوسف، يعقوب، كتاب الخراج. القاهرة: الطبعة السلفية ومكتبتها، ط٤، ١٣٩٢، صـ ١٢٦.

[2] أبو عبيد، القاسم، كتاب الأموال. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠، صـ ٥٧.

المطلب الثاني

حرية الاعتقاد ونبذ العنف والكراهية بين البشر

لا ينكر الإسلام على الآخر بقاءه على عقيدته تبعا لقاعدة أساسية في القرآن الكريم تقول: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**" (البقرة: ٢٥٦) فالإسلام يقر مبدأ الحرية الدينية، وقد أكدت سياسة المسلمين من الناحية التنفيذية والتطبيقية هذه التعاليم والتشريعات عملا بقوله تعالى: "**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**." (النحل: ١٢٥) وإذا قرأنا أو سمعنا ما يخالف ذلك من فئة ضالة ضلت الطريق ودعت للعنف وإرهاب الخلق وانحرفت عن المسار الإلهي الذي رسمه الله تعالى للإنسانية، فإنما هو شذوذ عن القاعدة وخروج عن المبادئ والتعاليم الإسلامية التي تؤكد على التسامح والسلام وحرية المعتقد.

لقد كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على دخول الناس في الإسلام، لكن لم يرصد التاريخ حالة إكراه واحدة بأنه ﷺ قد أكره أحدا على الدخول في الإسلام، إنما كان ﷺ يعرض الإسلام على الناس فيقبله من يشاء ويرده من يشاء، وأرسل ﷺ رسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام فمنهم من صدق به، ومنهم من هادى، ومنهم من عادى، وإذ بالقرآن يؤكد على حرية المعتقد: "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**" (الكافرون: ٦) ومن مواقف التسامح في سيرته ﷺ استقباله الوفود من غير المسلمين في مسجده بكل احترام وتقدير وحسن معاملة حتى سمح لهم بالصلاة في مسجده، كما حدث مع وفد نصارى نجران حيث قال عنهم الصحابة الكرام: ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون فقال رسول الله ﷺ: "دعوهم" مبحثوا إلى المشرق، وأعطاهم النبي ﷺ العهد والأمان: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي

رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغيب أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته."[1]

إن دراسة تاريخية للإسلام توضح للدارسين أن تاريخ الإسلام لم يعرف الحروب الدينية، ولا حرب القوميات والألوان، فالأجناس والعروق المتعددة لم تعرف على صعيده تفضيل جنس على آخر، وسرعان ما انتشر الإسلام دون إكراه ولا اضطهاد وبقي من شاء على دينه وشكل الإسلام مجتمعا تعددت قومياته، وأديانه، ومذاهبه، وتوحدت تحت مظلة الإسلام لحمته وأواصره.[2] وإن الإسلام ليفخر بأن أرضه لم تشهد أي لون من ألوان الاضطهاد الديني ويعود الفضل في ذلك إلى تعاليم الإسلام السمحة التي كفلت الحرية الدينية للجميع ولم تفرق في ذلك بين أكثرية وأقلية وهذه ميزة يفخر بها المجتمع الإسلامي. يقول الكونت هنري دي كاستري وهو من الدارسين للإسلام دراسة عميقة وكتب عنه كتبا قيمة:

"لقد درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام وخرجت منه بحقيقة مشرقة، هي أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة، وترّفع عن الغلظة، وعلى حسن مسايرة، ورقة مجاملة... "[3] ويضيف: "فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام ولم يكره أحد على الإسلام بالسيف، ولا باللسان، بل دخل القلوب

[1] ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، البداية والنهاية. بيروت: مكتب المعارف، ط٢، ١٩٧٧، جـ٥، صـ ٢٥.

[2] أبو خليل، شوقي، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧، صـ ٢٧.

[3] الغزالي، محمد، التسامح والتعصب، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥، صـ ١٥٣.

عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالألباب".[1]

ويشير توماس آرنولد إلى تسامح المسلمين وضمان حرية العقيدة قائلا في كتابه الدعوة إلى الإسلام:

"تحول البدو المسيحيون إلى الإسلام بالتسامح..... وإن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين مجتمعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح".[2]

إن صلة الإنسان المسلم بالناس تشملها السماحة، ويظللها الحلم، ويحيط بها العفو وضبط النفس، قال تعالى: "**ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ**" (مبحثت: ٣٤) ولقد أكد رسولنا الكريم ﷺ بمواقفه النبيلة أسمى درجات التسامح والعفو والحلم عندما دخل مكة فاتحا وعفى عن أهلها الذين آذوه وعادوه، وهو ﷺ الذي سار على قدميه الطاهرتين إلى أهل الطائف يريد لهم الخير والنفع ويدعوهم للإسلام إلا أنهم جمعوا له السفهاء والصبيان ورموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، وتوجه ﷺ إلى ربه بدعائه المشهور شاكيا إليه ضعف قوته وقلة حيلته، فأرسل له رب العزة جل وعلا ملك الجبال وقال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، قال: "**لا، بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا.**"[3]

---

[1] كاسترى، هنري دي، الإسلام خواطر وسوانح. ترجمة أحمد فتحي، مكتبة النافذة، ٢٠٠٨، صـ ٣٥.

[2] آرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٨، صـ ٦٩-٧٠.

[3] ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، البداية والنهاية. بيروت: مكتب المعارف، ط٢، ١٩٧٧، جـ٣، صـ ١٣٧.

وصدق الله العظيم الذي قال في حقِّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وهو القائل ﷺ "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**"[١]

ولأن الرحمة والعفو يتسقان مع طبيعته ﷺ، سطر مايكل هارت شهادته التاريخية عن نبي الرحمة والتسامح فجعل الخالدون مائة أعظمهم محمد، فعلى الرغم من أنه لم يدخل الإسلام ولم يرتدي عباءته إلا أن قلمه لم يصمد أمام صفات وأخلاق ومعجزة النبي ﷺ.

وهذا الفيلسوف ليو تولستوي من عمالقة الروائيين الروس وداعية سلام، يقول في كتابه حكم النبي محمد ﷺ في مبحثه تحت عنوان من كان محمد ﷺ؟

> "ومما لا ريب فيه أن النبي محمدًا من عظام المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وتفضل عيشة الزهد، ومنعها عن سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية؛ وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام."[٢]

المطلب الثالث

التعاون رسالة إسلامية عالمية وسنة كونية□

المجتمع في الإسلام مجتمع يتعارف أبناؤه على الخير ويتعاونون مع الآخر على الخير، وقد رسم القرآن الكريم طريق التعاون مع الأمم والشعوب،

---

[١] رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم ٣٤٧٧ ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم ١٧٩٢.

[٢] تولستوي، ليو، حكم النبي محمد ﷺ. ترجمة سليم قبعين. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢، صـ ١٣

أفرادا وجماعات فقال: "**وتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ولا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ**" (المائدة: ٢)

إن عالمنا اليوم ينشد تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان، وإن في الغراب النيوزيلاندي لعبرة وآية يتعلم منها بني البشر، فمنقار الغراب الذكر يختلف عن منقار الغراب الأنثى اختلافاً واضحاً حيث أن منقار الذكر صلب وقوى وسميك (يشبه آلة الحفر الحديدية الرفيعة) أما منقار الأنثى فطويل مُدَبَّب ومعقوف ولهذا فإن تحصيل رزق هذا الطائر يكون بتعاون الذكر مع أنثاه إذ يضرب الأول الشجرة المصابة بالسوس، والدود بمنقاره القوى حتى ينتهى إلى موضع الدود فيها، عندئذ تمد الأنثى منقارها الطويل المعقوف إلى داخل الشجرة فتلتقط الدود الذى يتقاسماه سوياً[١]، فسبحان من جعل التعاون سجية الخلق وسبيلهم للعيش.

قبل أن يبنى النبي ﷺ الأمة بنى الفرد، وقبل أن يُقيم الدولة أقام الأخوة الإنسانية فوادع اليهود بالمدينة وآمنهم من كل خوف على حياتهم وضمن لهم حرياتهم بكل أنواعها وكثيراً ما كان يذكرهم بأنبيائهم وبكتبهم ويدعوهم باللين إلى النظر في تاريخهم تمهيداً للتلاقي والتآخي مع المسلمين. وأنشأ ﷺ علاقات مع أهل الكتاب حكاماً ومحكومين، وقرر حقوقاً راسخة لهم تجمعها عبارته ﷺ التي أودعها في وثيقة المدينة والتي نصت على أن الجميع يمثلون مجتمعا واحدا متعاونا وإن كان متنوعا في انتمائه الديني، وأكدت الوثيقة على المساواة التامة بين أهل المدينة مسلمين وغير مسلمين في التعاون والمشاركة الفاعلة في مجالات الحياة المختلفة.

لقد نصت الأديان السماوية الثلاثة على قيم التسامح والعدل، والوصايا العشر (لا تقتل، لا تسرق، لا تزنِ،......) لخير دليل على تلاقي الأديان في القيم التي تحفظ السلام الفردي والمجتمعي، ومن ثم فإن الأديان السماوية تدعو

---

[١] نوفل، عبد الزاق، الله والعلم الحديث. القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، صـ ٧٧-٧٩.

إلى التعاون على محاربة العنف والعنصرية والتطرف لنعيش في عالم خالي من الحروب والأمراض والكراهية. فبعد الحرب العالمية الأولى والثانية، أدركت الأمم أهمية التعاون فيما بينها، فتأسست الأمم المتحدة لتعزيز التعاون بين شعوب العالم وللتأكيد على التسامح العالمي، ولحفظ السلام والأمن العالمي. وللدول الإسلامية والعربية، بحكم عضويتها في هذه الهيئة، دور فعال في التعاون على تحقيق الأمن والتعايش السلمي بين شعوب العالم.

وتقوم العلاقات بين المسلمين وغيرهم على الاحترام المتبادل وتنفيذ المعاهدات والأعراف المتفق عليها بين الطرفين تنفيذا لقول الله تعالى: "**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ولا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**" (النحل: ٩١) وعملا بقوله ﷺ: "**من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة**".[١]

والتاريخ خير شاهد لوفاء الرسول ﷺ لعهوده، حتى دفع ديات من قتل من غير المسلمين خطأ، وعفوه عن كل معتد مسيئ منهم جاءه تائبا، وأنه ﷺ كان يشيع جنازاتهم، ويحضر ولائمهم، ويعود مرضاهم، ويقترض منهم حتى توفى ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في المدينة[٢]، وكان يفعل ذلك ﷺ إرشادا وتعليما للمسلمين معاني التسامح والوفاء بالعهد. وطبقاً لبنود معاهدة الحديبية، كان رسول الله ﷺ قد قبل بشرط المشركين أن يرد إليهم من جاءه منهم مسلماً، على أنهم لا يلزمهم رد من جاء من المسلمين إليهم مرتداً عن دينه. فجاء أبو بصير عتبة بن أسيد مسلماً إلى رسول الله ﷺ، وقد أفلت من قومه فكتب الأخنس بن شريق وأزهر بن عوف كتاباً، وأرسلاه إلى رسول الله ﷺ، يطالبانه برد أبي

---

[١] رواه أبو داوود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير اهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم ٣٠٥٤.

[٢] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي والقميص في الحرب، حديث رقم ٤٤٦٧.

بصير إليهم، بناءً على شروط معاهدة الحديبية، فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع إلى قومه مع الرسولين اللذين جاءا لهذا الغرض، فقال أبو بصير: يا رسول، تردني مع المشركين، يفتنونني في ديني. فقال: "**يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله تعالى جاعل لك، ولمن معك من المسلمين فرجاً ومخرجاً**"... فخرج معهما."[1]

إن دراسة تاريخية للإسلام توضح حسن العلاقة وجميل التفاهم وطيب التعايش بين المسلمين وغيرهم واستمرار معاني التسامح، والعهدة العمرية في هذا المضمار لخير شاهد، فعلى منوالها وقعت المعاهدات مع أهل بلاد الشام، ومع أهل مصر، وخلاصتها أن الآخرين آمنون على دمائهم ونسائهم وأبناءهم وأموالهم، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ. ونذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حان وقت الصلاة وهو في كنيسة بيت المقدس، لم يصل داخل الكنيسة، حفاظا منه وضمانا لبقائها، وكي لا يقال: هنا صلى عمر، وسنجعل صلاته مسجدا، لقد خرج رضي الله عنه ليصلي بجوارها، حيث بني مسجد عمر.[2]

وتقضي الشريعة الإسلامية السمحة بعدم تكليف أهل الذمة ما لا يطيقون، وبإعفاء غير القادرين منهم من أداء هذه الواجبات بل وإعانتهم من بيت مال المسلمين.[3] ويشترط لتحقيق هذه القاعدة الدينية والمدنية الإسلامية ألا يكون أهل الذمة محاربين أو متعاونين مع محاربين ضد المسلمين. ويقرر الإمام السرخسي في السير الكبير أن من دخل ديار المسلمين بأمان وقد حمل معه مالاً للاتجار

---

[1] الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد. القاهرة، ١٩٩٩، ٥/١٠١-١٠٢.

[2] آرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، صـ ٥٦-٥٧.

[3] ابن القيم، أحكام أهل الجزية. بيروت، ١٩٨٣, ٢/٤٧٥.

فيه يجب علي الدولة أن تحافظ علي ماله، وألا ترهقه بالضرائب ونحوها حتى لا ينفذ ماله الذي هو قوام حياته.[1]

إن المستقرئ للسيرة النبوية، كما ذكرنا في هذا المبحث، يتبين له أن رسالة النبي ﷺ حملت مشروعا إنسانيا لخدمة الإنسانية جمعاء، وتقريرا لكافة القيم والمبادئ التي من شأنها بناء مجتمع إنساني تسوده روح التسامح والتعايش والتعاون والسلم وأن النزوع نحو التسامح يشكل إحدى أهم المبادئ التي قام عليها الإسلام، والتي كانت سببا أساسيا ضمن أسباب أخرى في انتشاره السريع في أنحاء مختلفة من العالم، وهو ما يقوض تماما الفكرة الشائعة بأن الإسلام يحض على العنف وقد انتشر بحد السيف، وما كان لهذا الأمر أن يتحقق لولا إيمان المسلمين في إطار علاقتهم بالآخر بأنهم يشتركون معهم في القيم الإنسانية، وليس ثمة وسيلة أضمن لاستقرار وتماسك العلاقات الإنسانية من انتهاجها منهج التسامح والتعايش السلمي.

المبحث الثالث

التسامح العالمي: معوقات وحلول

إن عالمنا اليوم ينشد التسامح ويدعونا أن نصطف جميعا جنبا إلى جنب في صف إنساني واحد غايته قبول الآخر والحوار معه لنعيش في عالم خالي من العنف والكراهية، وغياب التسامح يهدر الكثير من الخيرات الإنسانية القيمة، فالأمم الأخرى ليست أعداء بل هبات الله، فلا بد من احترامها، ولكن هناك معوقات تحول دون تحقيق التسامح العالمي والتعايش السلمي مع الآخر، نجملها في المطالب التالية:

---

[1] خلاف، عبد الوهاب، السياسة الشرعية. بيروت: الرسالة . ١٩٨٤ص ٧١.

المطلب الأول

انحراف البشرية عن القوانين الإلهية

من أسمى غايات الأديان ترسيخ قيم التسامح والعدل، وترتيب العلاقات الإنسانية بالنسبة للمعاملات والروابط الاجتماعية بحيث تنتقل البشرية من عهد البدائية والغرائزية إلى عهد القوانين الاجتماعية، ومن عهد شريعة الغاب التي تقوم على غلبة القوة والالتصاق الكلي بالمادة إلى عهد التسامي إلى الله والانتصار للعدل والحق والفضيلة، ومن عهد اعتبار الإنسان الآخر هو العدو الذي يجب قهره والتغلب عليه بحجة الدين وبموجب قوانين الصراع من أجل البقاء إلى اعتباره أخا في الدين أو الإنسانية ينبغي محبته والتسامح معه، وتحقيق البعد الإلهي في الأرض الذي يرسخ للعدل.

ولنقل البشرية من الفوضى المطلقة إلى النظام الاجتماعي المقنن والمشرع بالوحي الإلهي وتعاليم الكتب السماوية، أرسى الدين ضوابط وقواعد وأحكاما تحقق العدل وتحرم الظلم، وتحفظ الحقوق والحريات، وتنظم حياة الناس؛ فحرم على سبيل المثال القتل حفاظا على حياتهم، وحرم الزنا تجنباً لاختلاط الأنساب، وحفاظا على الزواج الذي أعطاه الدين قدسية خاصة من أجل الحفاظ على الأسرة وهي الخلية الأولى في بنية المجتمع، وحرم السرقة حفاظا على الأموال التي هي قوام الحياة، وحرم الربا ليرفع عن المحتاجين ظلم المرابين وجشع التجار وإعلاء للعدل بين الغني والفقير، وحرم تناول المسكرات حفاظا على العقول، وحرم شهادة الزور من أجل استقامة العدالة في المجتمعات البشرية، وحرم الظلم والبغي بكل أنواعه، وحرم الفواحش والرذائل، وكل عمل ينافي قيم العدل والتسامح بحيث يضر بمصلحة الفرد والجماعة.[١]

---

[١] أبو حمدان، محمد، حقيقة موقف الإسلام من الأديان والمذاهب الفكرية: دراسة مقارنة. بيروت: دار البيروني، ط ٢، ٢٠٠٦، صـ ٨.

إن تعطيل الدين وغياب التسامح وعدم الاعتقاد بالله القوة المدبرة لشؤون هذا الكون يصبح معه كل تصور لدى الناس عن الأخلاق والقيم تصورا يكتنفه الغموض ويخضع بالضرورة لسيطرة المصالح الذاتية والأهواء الشخصية، كما يصبح الحكم على الأعمال والغايات نتيجة لما تحققه للإنسان والأمة من النفع أو ما تدفعه عنا من الضرر، أي أن المصلحة حلت باعتبارها غاية نهائية للإنسان مكان رضا الله، وتصبح العلاقات الإنسانية قائمة على الصراع وقانون الغلبة، ويصبح الحق من ثم للأقوى، ويصير إنتاج ما أمكن من وسائل القوة والجبروت الهدف الأهم للدول، فالانحراف عن القوانين الإلهية والتعاليم الدينية الحقة يؤدي إلى فساد الفكر والسلوك مما يفضي إلى ظهور الغلو والتطرف المثير للفتن والقلاقل في المجتمعات الإنسانية، ومن ثم يغيب التسامح العالمي.

المطلب الثاني

ضعف المعرفة بسنة الاختلاف وغياب الحوار

تنص الرسالات السماوية على أن الله خلق كل البشر سواسية ووزع أرزاقهم بالعدل وسن لهم حقوقا متساوية، ولكن جعل الناس مختلفين في النوع والعرق واللون والقوة والضعف والغني والفقر، وعوضا عن أن يكون هذا الاختلاف الذي هو سمة البشر دعامة التسامح والعدل وقوامهما، راح البعض يستغلونه في ظلم الآخر. وليس من قوانين الخالق ظلم الفقراء والضعفاء (عدد ١١: ٣١-٣٣، لاويين: ٢٥: ٨-١٧)، فالمسيح عليه السلام قد حدد مهمته التي جاء من أجلها في نصرة الفقراء والمظلومين. ويعتبر المسيح في العهد الجديد تجسيدا لعدالة الإله، فيه وجدت عدالة السماء على الأرض (متى ٢٧: ١٩) وأينما حل العدل بين البشر حل التسامح والود.

إن عصرنا الحاضر ينشد التسامح والحوار والتقارب بين أتباع الديانات الذين أضحوا يعيشون وكأنهم في قرية كونية واحدة تتطلب منا جميعا البحث عن حلول رائدة للمشكلات المعقدة التي تقف عائقا أمام البشرية في سعيها نحو التسامح العالمي. فالحوار ضرورة دينية ومجتمعية، وحاجة إنسانية ملحة، لا غنى للإنسان عنه، فالإنسان مدني بطبعه لا يمكن أن يعيش أو يهنأ دون أن يتكلم ويتواصل مع الآخرين من خلال الكلمة والفكرة والرأي، وأن يتبادل المعرفة والخبرة وع غيره من بني جنسه.[١] فبالحوار يتم تعزيز سبل التفاهم والثقة المتبادلة بين البشر، وبناء جسور التواصل والتعاون المشترك، وتترسخ دعائم التعايش السلمي والأمن المجتمعي، وتسود قيم التسامح والاحترام بين الناس جميعا.

---

[١] أبو ليلة، محمد، قصص الأنبياء وأدب الحوار في القرآن الكريم. القاهرة: دار الدفاع للطباعة والنشر، ٢٠١٣، صـ ٧.

المطلب الثالث

السبيل إلى التسامح العالمي

إن جميع الاختلافات بين الشعوب هي إرادة الله سواء أكان الاختلاف دينيا، أو ثقافيا، أو فكريا، أو عرقيا بين الأفراد في نفس المجتمع أو بينهم وبين أفراد المجتمعات الأخرى، والتسامح هو التجانس مع الاختلاف، وهو يزداد مع المعرفة وانفتاح العقل على العالم وزيادة الاتصالات والتفاعلات مع الثقافات الأخرى، فضلا عن حرية التفكير والمعتقدات والممارسات، وهو اعتراف بالآخر على أساس انساني بعيدا عن التفاضل العنصري[١]، لأن العنصرية والكراهية والعدوان تتنافى مع مبدأ التسامح، ومن ثم فإن ممارسة التسامح ثبات التوازن الاجتماعي، ويزداد بالاعتراف بالحقوق الإنسانية الكلية والحريات الأساسية للآخرين، فمعارض اليوم قد يكون حليف الغد. قال تعالى: "**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**" (مبحثت:٣٤). والآن يطرح السؤال نفسه: ما هو السبيل إلى التسامح العالمي؟ ونجمل إجابة هذا السؤال فيما يلي:

أولا: إن الفهم الصحيح للأديان ودورها الرائد في النهوض بالبشرية يمكن أن يسهم بشكل فعال في ايجاد حلول مناسبة للمشكلات والتحديات التي تعيق تحقيق التسامح العالمي وتمكينه. ويأتي على رأس هذه التحديات كراهية الآخر، والتي نمت بالتراجع الثقافي والعلمي في تنوير العقول في احترام ثقافة الآخر ومعتقده، وعلى إثر هذه الفجوة الكبيرة في فهم الآخر دبت الحروب والصراعات في الماضي، ومتوقع حدوثها في الحاضر أو في المستقبل إذا لم تعالج هذه القضية علميا وثقافيا ودينيا.

---

[١] الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات). بغداد: مؤسسة عارف للطباعة، ٢٠٠٨، ط١، صـ ٢٥٠.

ثانيا: إنه يتوجب علينا جميعا أن نبذل محاولات جادة لتعزيز القواسم المشتركة من أجل تحقيق التسامح للبشرية جمعاء، بمنأى عن العنصرية القائمة على اللون أو العرق أو الدين، ولتحقيق تعاون مشترك بين شعوب العالم، فعلى الجميع أن لا يستعيدوا في ذاكرتهم وحواراتهم عوامل الكراهية القديمة، والعقد الموروثة في أزمان مضت، بل ينبغي بدلا من ذلك أن يتبنوا فكرا إيجابيا يسعى إلى بناء مستقبل مشرق ينعم فيه العالم بالتسامح والعدل والأمن والسلام.

ثالثا: من ثمرات سيادة التسامح في المجتمع تحقيق أجواء العيش الكريم لمختلف فئاته مهما تنوعت تصوراتهم وتعددت معتقداتهم وتوجهاتهم بما يحقق الانسجام والثقة والوئام والأمن النفسي والمجتمعي، بعيدا عن عوامل إثارة العنف والقلاقل والفتن، وقد أعطانا رسول الإنسانية ﷺ المثل من نفسه حيث وضع النواة لبناء الأمة الإسلامية الناشئة بصياغة ميثاق يحفظ لكل فئة من فئات المجتمع خصوصيتها.

إن السبيل إلى تحقيق التسامح والتعايش السلمي هو إرساء ما يمكن أن نصطلح عليه اليوم بحوار التعايش، وعلى الشعوب إذا أرادت أن يسود التسامح العالمي وأن تنعم بالإنجازات الحضارية العملاقة التي حققتها وتعاونت على تحقيقها، عبر تاريخها الطويل، وإذا أرادت الشعوب أن تتفادى الحروب والنزاعات المدمرة فعليها أن تفعل الحوار وتوسع من نطاقه وذلك باستثمار كافة القيم والمبادئ الدينية التي من شأنها التقريب والتأليف، وتصنع الضمانات الكافية لتحقيق الغاية المرجوة منه وأهمها التسامح العالمي والتعايش السلمي.

الخاتمة

تضافرت عوامل متعددة في تشكيل صورة نمطية يحملها الآخر عن الإسلام تتلخص في اقترانه المباشر بالعنف والإرهاب، ولمقاومة هذه الافتراءات

لابد من العودة إلى المصادر السليمة والصحيحة لدراسة الإسلام ونموذجه الفريد في تحقيق التسامح العالمي والتعايش السلمي، ولعل ما نذكره من أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث تساهم في توضح مركزية الإنسان في الإسلام وأن علاقته مع الآخر تميل الكفة فيها إلى التسامح والتعايش، كما يلي:

- **أن الإسلام قد وضع المنهج السليم الذي من خلاله نستطيع أن نبني علاقات دولية ترسي للتسامح والتعايش السلمي، والسيرة النبوية العطرة جاءت بنماذج تؤكد على أن الإسلام قد جاء ليحد من الصراعات بترجيحه لجانب التسامح والسلم على العصبية والندية والحرب.**
- **وضع الإسلام مبادئ إنسانية إسلامية واضحة وشاملة لتعزيز الروابط البشرية والعلاقات الدولية ومن اهم تلك المبادئ: التسامح، وحرية العقيدة، واحترام الكرمة الإنسانية، وتحقيق العدالة والتعايش والتعاون الإنساني، والوفاء بالعهد واحترام الاتفاقيات والمواثيق.**
- **إن للمعاهدات مشروعية في القرآن والسنة النبوية، وقد وضع رسول الإنسانية المصطفى ﷺ نهجا ساميا في إبرام المعاهدات، ومن ملامح هذا المنهج التنازل عن بعض البنود من أجل تحقيق السلم والأمان والحد من سفك الدماء وتعزيز التسامح والتعايش واتضح ذلك جليا في بنود صلح الحديبية، ولم يجعل المخالفة في الدين سببا للتصارع وإنما جعل الحرب للدفاع عن النفس وتثبيت السلم.**
- **يسعي الإسلام إلى تحقيق أهداف وغايات سامية من أهمها نشر الدعوة الإسلامية، وتحقيق الأمن والسلم العالمي، وتبادل المصالح والمنافع التجارية والعلمية، وجاءت السيرة النبوية لتأكد أن النبي ﷺ قد أقام علاقات مع غير المسلمين مبنية على التسامح والتعايش، وقد انتهج صحابته والمسلمين من بعده هذا النهج، وهو دليل داحض لكل من يتهم الإسلام بالإرهاب وأن ما قد يحدث من فئة ضالة ضلت الطريق ودعت**

للعنف وإرهاب الخلق وانحرفت عن المسار الإلهي الذي رسمه الله تعالى للإنسانية وسار على دربه رسول الإنسانية، فإنما هو شذوذ عن القاعدة وخروج عن المبادئ والتعاليم الإسلامية التي تؤكد على التسامح والسلام وحرية المعتقد.

وقد خلص البحث إلى بعض من التوصيات نجملها فيما يلي:

- تأهيل الأجيال لتطبيق التسامح واتباع الهدي النبوي في التسامح الذي ليس فيه تنازل عن كرامة المسلم وعزته، وذلك بتفعيل دور الشباب على مستوى عالمي ومشاركاتهم في الحوارات المجتمعية وحمايتهم من هؤلاء الذين اتخذوا من الإسلام مطية لهم ولنواياهم الخبيثة في تأجيج الصراعات والخلافات ليكونوا عقبة في تقدم الحضارة الإنسانية، لا سيما وأن الشباب هم القوة البشرية التي تجدد الدم الذي يجرى في عروق حضارتنا الإنسانية.
- إننا بحاجة إلى تطوير المناهج التعليمية لتضمن التسامح الثقافي والديني والمجتمعي، فالمجتمع الذي تغيب عنه روح التسامح يكون عرضة للاختراق وإشاعة الفتن بين أفراده لأنه غير محصن ضدها مهما كان متطوراً من النواحي التقنية والمدنية.
- إقامة مؤتمرات ومنتديات بلغات عالمية وإنشاء مراكز متخصصة تعني بالتسامح وموضوعاته ووضع آليات جادة لتنفيذ التوصيات.
- الاعتراف بالآخر، وعدم إقصاءه، والإقرار بحقه في إبداء رأيه وموقفه وممارسة خصوصياته الدينية، وحسن استثمار أوجه التشابه والاتفاق مع الآخر، والحرص على تنميتها.
- تفعيل تطبيق القوانين والتشريعات التي تضمن العدل والحقوق والمساواة بين الناس، فلا سمة سبيل إلى سيادة ملامح التسامح العالمي دون

ضمان حقوق المسلمين في المجتمع الغير المسلم وحقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

- **إصدار مجلات دورية عن التسامح لتكون دليلا للمجتمعات في قبول الآخر والتعايش معه.**
- **تعميم التجارب الناجحة لبعض الدول العربية والإسلامية في مجالات التسامح وبحث آليات تعميم النموذج الاماراتي في تعزيز ثقافة التسامح والتعايش السلمي.**
- **على دور الإعلام والمؤسسات الإعلامية أن تنتهج منهج الموضوعية في موادها الإعلامية وتخصص برامج للحديث عن مبادئ الإسلام السمحة ومنهجه في التعامل مع غير المسلمين، وأن لا تتبنى العنصرية والتحيز تجاه دين بعينه أو طائفة بعينها، وأن يتكاتف الكتاب والأدباء والفنانين في التركيز على ما هو يجمع ولا يفرق، وما يؤصل لمبادئ إنسانية وأخلاقية تؤكد على وحدة الصف الإنساني مثل التسامح والتعايش السلمي.**

ومن خلال هذه التوصيات التي تخلص إليها مثل هذه الدراسات، نستطيع أن نخلق بيئة عالمية تسودها التسامح، وتشجع على التعاون والتعايش السلمي بين أبناء الجنس البشري.

وختاما أتوجه بهذه الورقة العلمية إلى الله عز وجل أن يتقبلها مني، وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء. والله من وراء القصد....

المصادر والمراجع

القرآن الكريم وعلومه

الجصاص، أبي بكر، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.

الحديث النبوي وعلومه

ابن حجر، أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.

ابن ماجه، محمد، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية. د.ت

أبي داوود، سليمان، مسند أبي داوود، تحقيق محمد عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر، ط١، ١٩٩٩م.

البخاري، محمد، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

البيهقي، أحمد، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣.

الترمذي، محمد، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٥م.

السيرة النبوية

ابن القيم، محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: أبي عبد الرحمن صالح بن عبد اللطيف. دار اليقين، ط١، ٢٠١١.
ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، السيرة النبوية (من البداية والنهاية، لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٦م.
ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت.
البوطي، محمد، فقه السيرة النبوية، مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. دار الفكر، ط ٢٧، ٢٠٠٧م.

مراجع أخرى

ابن القيم، محمد، أحكام أهل الجزية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣.
ابن عابدين، محمد، الدر المختار. القاهرة: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣.
ابن عاشور، محمد، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، ٢٠١٠م
أبو حمدان، محمد، حقيقة موقف الإسلام من الأديان والمذاهب الفكرية: دراسة مقارنة، بيروت، دار البيروني، ط ٢، ٢٠٠٦.
أبو خليل، شوقي، الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧.
أبو خليل، شوقي، التسامح في الإسلام: المبدأ والتطبيق. دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨.
أبو خليل، شوقي، تسامح الإسلام وتعصب خصومه. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٤٢٨.
أبو عبيد، القاسم، كتاب الأموال. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠.
أبو ليلة، محمد، قصص الأنبياء وأدب الحوار في القرآن الكريم. القاهرة: دار الدفاع للطباعة والنشر، ٢٠١٣.

أبو يوسف، يعقوب، كتاب الخراج. الطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط٤، ١٣٩٢.

آرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.

تولستوي، ليو، حكم النبي محمد ﷺ. ترجمة سليم قبعين. القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢.

الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة. القاهرة: دار المصطفى، د.ت.

البرهماتي، حياة، منار الإسلام. أبوظبي: هيئة الشؤون الإسلامية والأوقاف، العدد: ٤١١، ٢٠٠٩م

الجابوري، نظلة، التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠١٠.

خلاف، عبد الوهاب، السياسة الشرعية، بيروت . الرسالة . ١٩٨٤.

دراز، محمد، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. القاهرة: دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

شتا، أحمد، الأصول العامة للعلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٦.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد، القاهرة، ١٩٩٩.

الطريفي، عبد الله الثقافة والعالم الآخر: الأصول والضوابط، دراسة تأصيلية. الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٧.

عبد الوهاب، أشرف، التسامح الاجتماعي بين التراث و التغيير. القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

العليان، عبد الله علي، حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين: رؤية إسلامية للحوار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤.

عمارة، محمد، السماحة الإسلامية: النظرية والتطبيق، مقال ضمن أبحاث المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٤.

مغراوي، محمد، من صور التسامح الإسلامي مع غير المسلمين. دار العالم العربي، ٢٠١٣م

الغرباوي، ماجد، التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات). بغداد: مؤسسة عارف للطباعة، ٢٠٠٨.

الغزالي، محمد، التسامح والتعصب، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥.

كاستري، هنري دي، الإسلام خواطر وسوانح. ترجمة أحمد فتحي، مكتبة النافذة، ٢٠٠٨.

نوفل، عبد الزاق، الله والعلم الحديث. القاهرة: مكتبة الأسرة، ١٩٩٨.

البهيتي، عبد الستار، الحوار (الذات مع الآخر). وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤.

الفهرس

Contents